

أضواء البيان

@ 189 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا ۖ لَا يَرْكَعُونَ وََيُلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } فقوله تعالى : { وَيُلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } كقوله هنا { وَيُلُّ لِّلْكُلِّ أَفْوَاجٍ أَتْرِيمِ } . . . وقد كرر تعالى وعيد المكذبين بالويل في سورة المرسلات كما هو معلوم وقوله في آخر المرسلات : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } كقوله هنا في الجاثية : { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِّ وَعَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } . ومعلوم أن الإيمان بالـ [على الوجه الصحيح ، يستلزم الإيمان بآياته ، وأن الإيمان بآياته كذلك يستلزم الإيمان به تعالى ، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { يَسْمَعُ عَايَاتِ اللَّهِ تَتْلُو عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } يدل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصير على الكفر والمعاصي في حالة كونه متكبرا عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات الله ، له البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في لقمان : { وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ عَايَاتُ تُونَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ } وقوله تعالى في الحج : { وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ عَايَاتُ تُونَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ السَّادِينَ كَفَرُوا ۖ أَلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ عَايَاتُ تُونَا قُلْ أَفَأُنذِرُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ ۖ السَّادِينَ كَفَرُوا ۖ وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ } وقوله تعالى : { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا ۖ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، فقوله تعالى عنهم : ماذا قال آنفاً . يدل على أنهم ما كانوا يبالون بما يتلو عليهم النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والهدى . . . وقد ذكرنا كثيراً من الآيات المتعلقة بهذا المبحث في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى : { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } وَقَالُوا ۖ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِدَاءً إِذَا نُنَادَا وَقُرْ وَمِنْ بَيِّنَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ حُجَّتُكَ } . . .

وقوله تعالى في هذه الآية . { كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا } خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدراً وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا { خفت فيه لفظة كأن ، ومعلوم أن كأن إذا خفت كان اسمها مقدراً وهو ضمير الشأن والجملة خبرها كما قال في الخلاصة :